

تفسير ابن كثير

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا^ج كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(فقلنا اضربوه ببعضها) هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة

حاصلة به . وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينا في نفس الأمر ، فلو كان في تعيينه لنا

فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ، ولكن أبهمه ، ولم يجئ من

طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله . ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش

، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إن أصحاب بقرة

بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له ، وكانت بقرة تعجبه ،

قال : فجعلوا يعطونه بها فيأبى ، حتى أعطوه ملاء مسكها دنانير ، فذبحوها ، فضربه يعني

القتيل بعضو منها ، فقام تشخب أوداجه دما [فسألوه] فقالوا له : من قتلك ؟ قال : قتلتني

فلان . وكذا قال الحسن ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه ضرب ببعضها . وفي رواية

عن ابن عباس : إنهم ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف . وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ،

قال : قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبدة : ضربوا القتل ببعض لحمها . وقال معمر :

قال قتادة : فضربوه بلحم فخذها فعاش ، فقال : قتلني فلان . وقال أبو أسامة ، عن النضر

بن عري ، عن عكرمة : (فقلنا اضربوه ببعضها) [قال] فضربفخذها فقام ، فقال : قتلني

فلان . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد ، وقتادة ، نحو ذلك . وقال السدي : فضربوه

بالبضعة التي بين الكتفين فعاش ، فسأله ، فقال : قتلني ابن أخي . وقال أبو العالية : أمرهم

موسى ، عليه السلام ، أن يأخذوا عظما من عظامها ، فيضربوا به القتل ، ففعلوا ، فرجع

إليه روحه ، فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

فضربوه ببعض آرابها [وقيل : بلسانها ، وقيل : بعجب ذنبها] . وقوله : (كذلك يحيي الله

الموتى) أي : فضربوه فحيي . ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر

القتل : جعل تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد ، وفاصلا ما كان بينهم من

الخصومة والفساد ، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما خلقه في إحياء الموتى ، في

خمسة مواضع : (ثم بعثناكم من بعد موتكم) [البقرة : 56] . وهذه القصة ، وقصة

الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية

على عروشها ، وقصة إبراهيم والطيور الأربعة .وبه تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميما ، كما قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، أخبرني يعلى بن عطاء ، قال : سمعت وكيع بن عدس ، يحدث عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتى ؟ قال : " أما مررت بواد ممحل ، ثم مررت به خضرا ؟ " قال : بلى . قال : " كذلك النشور " . أو قال : " كذلك يحيي الله الموتى " . وشاهد هذا قوله تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) [يس : 35] .مسألة : استدل لمذهب مالك في كون قول الجريح : فلان قتلني لوثا بهذه القصة ؛ لأن القتل لما حيي سئل عمن قتله فقال : قتلني فلان ، فكان ذلك مقبولا منه ؛ لأنه لا يخبر حينئذ إلا بالحق ، ولا يتهم والحالة هذه ، ورجحوا ذلك بحديث أنس : أن يهوديا قتل جارية على أوضاع لها ، فرضخ رأسها بين حجرين فقيل : من فعل بك هذا ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى ذكر اليهودي ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فلم يزل به حتى اعترف ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد رأسه

بين حجرين وعند مالك : إذا كان لوثا حلف أولياء القتيل قسامة ، وخالف الجمهور في

ذلك ولم يجعلوا قول القتيل في ذلك لوثا .